المبحث السادس

العلاقة بين قوة الإيمان وزيادته وضعف الإيمان ونقصه

وهناك علاقة وطيدة وارتباط وثيق بين قوة الإيمان وزيادته، وضعف الإيمان ونقصه، ويتجلى هذا الارتباط ويزداد وضوحاً في مرحلتي المحبة والانقياد ويظهر ذلك جلياً من خلال ما ورد عن النَّبي ﷺ فقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**" (١).

ففي هذا الحديث يوضح النَّبي ﷺ أن قوة الإيمان تتجلى في الانقياد باطناً وظاهراً وذلك بأن يتحرك الإنسان بجوارحه لإنكار منكرٍ بعينه ولن يتأتى ذلك إلا إذا كان قلبه قد كره هذا المنكر كُرهاً شديداً، ثم يضعُف فيصير الإنكار باللسان، ثم يزداد ضعفاً فيصبح الإنكار بالقلب وذلك أضعف الإيمان (٢)، ومنه يُعلم أن أضعف درجات الإيمان انقياد القلب، وأقواها انفعال الجوارح وفي ضمنها اللسان وانقيادها مع انقياد القلب، وأوسطها الانقياد باللسان فقط مع القلب، وقد أثبت النَّبي إيماناً ضعيفاً لمن انقاد بقلبه فقط تجاه أمر معين رغم عدم وجود عمل ظاهر بجوارحه كلها حيال هذا الأمر، وفيه أعظم رد على من قال أن الإيمان يزول بزوال عمل من أعمال الجوارح فانتبه.

---

(١) رواه مسلم برقم ٧٨ / ٤٩ ، وأبو داود برقم ١١٤٠ ، وابن ماجة برقم ١٢٧٥ ، والنسائي برقم ٥٠٠٨ ، والترمذي برقم ٢١٧٢ ، وأحمد برقم ١١٠٨٨ ،وابن حبان برقم ٣٠٦ ،والبيهقي في الكبرى برقم ٥٩٩٧ ، وفي شعب الإيمان برقم ٧٥٥٩ .

(٢) وانكار المنكر بالقلب يكون بتحقق شيئين:

(أ) بغض هذا المنكر .

(ب) ترك مكانه وقوله والبعد عنه،وهذا الإنكار فرض عين على كل مسلم علم هذا المنكر.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن. ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل** » (١).

وفي هذا الحديث يوضح النَّبي ﷺ أن أكمل إيمان الفرد بأمر معين يكون بأن ينقاد بقلبه وجوارحه كلها لإنكاره إن كان منكراً، ثم يتناقص حتى يصير باللسان دون باقي الجوارح، ثم يكون في أعظم مظاهر النقص عندما يُنكر المنكر بقلبه فقط، فإن زال انقياد القلب زال أصل إيمانه بهذا الأمر.

يقول ابن تيمية: فأضعف الإيمان الإنكار بالقلب فمن لم يكن في قلبه بغض المنكر الذي يبغضه الله ورسوله لم يكن معه من الإيمان شيء (٢).

وقال: وإنكار القلب هو الإيمان بأن هذا منكر وكراهته لذلك، فإذا حَصَلَ هذا كان في القلب إيمان، وإذا فَقَد القلب معرفة هذا المعروف وإنكار هذا المنكر ارتفع هذا الإيمان من القلب (٣).

---

(١) رواه مسلم برقم ٨٠ / ٥٠ ، وابن حبان برقم ١٧٧ ، والطبراني في الكبير برقم ٩٧٨٤ ، والبيهقي في الكبرى برقم ١٩٩٦٥ ، وفي شعب الإيمان برقم ٧٥٦٠ .

(٢) مجموع الفتاوى ٨ / ٢٢٩ .

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٤٠ ،ولا يعني ذلك زوال الإيمان بالكلية ولكن يعني زوال إيمانه بهذا الأمر فقط.
وفي ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية: فإن مراده أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان، ليس مراده أن من لم ينكر ذلك لم يكن معه من الإيمان حبة خردل، ولهذا قال ليس وراء ذلك، فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، وكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه، لكن الأول لما كان أقدرهم كان الذي يجب عليه أكمل مما يجب على الثاني، وكان ما يجب على الثاني أكمل مما يجب على الآخر، وعلم بذلك أن الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب إستطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم. مجموع الفتاوى ٧ / ٢٨٥ .
ويقول الشيخ ياسر برهامي: ومعنى: ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل : أي في عمله ذلك، أي من غيُّر المنكر بقلبه وهو قادر على أن يُغيِّره بلسانه أو بيده فقد قصَّر وأثم، ولكن فعله هذا وهو التغيير بالقلب بكراهية المنكر وبُغضه له وتمنى زواله [يدل على أن قلبه] فيه شيء من الإيمان، أما من لم يكره المنكر بل =

يقول الحافظ ابن حكمي بعد أن ساق جملة من الأحاديث في وجوب إنكار المنكر :

فدلت هذه الأحاديث كلها على وجوب إنكار المنكر بحسب القدرة عليه، وأما إنكاره بالقلب فلابد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الإيمان من قلبه وقد رُوى عن أبي جحيفة قال: قال عليّ رضي الله عنه : (إن أول ما تُغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم، ثم الجهاد بألسنتكم، ثم الجهاد بقلوبكم، فمن لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر؛ نُكِّس فجُعِل أعلاه أسفله) وسمع ابن مسعود رضي الله عنه رجلاً يقول: هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فقال ابن مسعود رضي الله عنه : (هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر)[١] ، يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد، فمن لم يعرفه هلك، وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (يوشك من عاش منكم أن يرى منكراً لا يستطيع له غير أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره) ، وفي سُنن أبي داود عن العرس بن عميرة عن النَّبي ﷺ قال: (**إذا عُمِلت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها، كان كمن شهدها**)[٢] فمن شهد الخطيئة فكرهها في قلبه كان كمن لم يشهدها إذا عجز عن إنكارها بلسانه ويده، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها وقدر على إنكارها ولم ينكرها؛ لأن الرضا بالخطايا من أقبح المحرمات، ويفوت به إنكار الخطيئة بالقلب؛ وهو فرض على كل مسلم، لا يسقط عن أحد في كل حال من الأحوال، وخرَّج ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: (**من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها،**

= رضى بوجوده وفرح بنيل شهوته وهواه من خلاله [فهذا يدل على ان قلبه] ليس فيه نحو هذا الفعل شيء من الإيمان، ولا يلزم [من ذلك] أن لا يكون فى قلبه شيء من الإيمان فى أمور أخرى كتصديق الله ورسوله ﷺ . والالتزام إجمالاً بالشرع وإن كان الالتزام التفصيلى غير موجود فى هذه المعصية. الامر بالمعروف ، ص ١٦ . وما بين المعكوفين أضفته ليتضح مقصود الكلام.

(١) مصنف ابن أبى شيبة برقم ٣٧٥٨١ ، وكنز العمال برقم ٨٤٦٥ .

(٢) رواه البيهقى فى السُنن الكبرى برقم ١٤٣٢٨ ، وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٦٨٩ .

ومن غاب عنها فأحبها فكأنه حضرها) [١] ، وهذا مثل الذي قبله فتبين بهذا أن الإنكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال، وأما الإنكار باليد واللسان فبحسب القدرة [٢] .

ويقول الشيخ أحمد فريد: فإنكار اليد واللسان بحسب القدرة والطاقة، وإنكار القلب حتمٌ، فإذا لم يُنكر القلب المنكر دل على ذهاب الإيمان منه[٣] .

ومن هنا يظهر الترابط بين ضعف الإيمان ونقصه من ناحية ، وقوة الإيمان وكماله من ناحية أخرى، فنقص الإيمان مرتبط بضعفه وهو ثمرته، وزيادة الإيمان مترتبة على قوته وهى أيضاً ثمرته.

ويظهر أيضاً: أنه إذا زال عمل القلب زال الإيمان، وإذا وجد عمل القلب بغير عمل الجوارح في أمر معين دل على وجود إيمان ضعيف بهذا الأمر.

---

(١) رواه البيهقى فى السنن الكبرى برقم ١٤٣٣٠ ، وضعفه الألبانى فى الضعيفة برقم ٤٥٨٨ .

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٣٥٩ .

(٣) التربية على منهج أهل السُّنَّة والجماعة ص ٩٦ .

openkandl.com